# الإقطاع في انكَلترا في القرن الحادي عشر

**الباحثة بيداء جبار محمد**

**كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد**

يُعدُّ موضوعُ (الإقطاع في انكَلترا في القرن الحادي عشر ) من المواضيع المهمة ، وتكمن أهميته في نشوء نظام سياسي واقتصادي واجتماعي ميز العصور الوسطى في غرب أوربا عموم اً ، وإنكَلترا على وجه الخصوص في القَرن الحادي عشر ، إذ قام على حيازة الأرض وتنظيم العَلاقة بين السيد والتابع الذي لاحقٍّ لهُ سوى خدمة المالك والدفاع عنه وزراعة ا لأرض ووفقاً لذلك يرى الباحثان أن ً نظام ا لإقطاع قد ساهم بشكل آخر في تطور النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمع في إنكَلترا 0

وعلى هذا ا لأساس اعتنى هذا البحث بمحاولة سبرغور ذلك النظام في ضوء إلاجابة على التساؤلات الآتية :-

- ماالأوضاع السياسيّة والدينيّة في انكلترا في القرن الحادي عشر ؟
- ما أركان الإقطاع وما القضاء الإقطاعي ؟

وكانتْ الأجابةُ على هذه التساؤلات وتساؤلات اخرى هو الهدف ا لأساسي لهذا البحث 0

## المبحث الأوّل :

الأوضاع السياسيَّة والدينيَّة في انكلترا في القرن الحادي عشر

- إنكَلترا تحت الحكم النورماندي (1066- 1097):-

حينما توفي ملك انكَلترا ادوارد المعترف Edward the confessor

( 1024 - 5 كانون الثاني 1066) الذي لم يكن له أي وريث ، وقد سَمَّى ادوارد المعترف وهو على فراش الموت في كانون الثاني هارولد جوديسون Harold Judeasn ملكاً على انكلترا (5 كانون الثاني 1066 – 14 تشرين الاول 1066 ) [1]

غير أنّ William دوق النورماندي ( 1035 – 1087 ) وابن عمه ادوارد المعترف ، ادَّعى وبناء على وصية الملك الراحل له بحقه بالعرش وادَّعى ايضاً أنَّ هارولد جوديسون قد وعده بأنه سيسانده في مطالبته بالعرش ، بعدها بنى وليام أُسطولاً كبيراً [2] 0

رستْ قواتُ وليام على الشو اطئ الانكَليزية وتقابلت مع قوات هارولد في معركة هاستينغز في 14 تشرين الأول 1066 ، وفي تلك المعركة قُتل هارولد وإخوته وانتصر وليام انتصاراً ساحقاً واكتسب لقب وليام الفاتح[3].

تحقق النصر النورماندي في معركة هايستنغز ولم يعد هناك منافسون خطرون لوليام الفاتح على التاج الانكَليزي، وفي يوم عيد الميلاد العام 1066م توج ملكاً على انكَلترا في كاتدرائية وستمنتر في لندن [4] 0
وعليه نجح وليام في تأسيس دولة جديدة حول الفنال الانكَليزي، إذ بدأت مرحلة حكم الانكَلو نورمان[5].

نستخلص من معركة هايستغز أنّ المجتمع الأوربي في العصور الوسطى كان مجتمعاً تواقاً للحرب، إذ أنّ تلك القبائل الغازية التي تكون منها المجتمع جُبِلتْ على الحروب وولدت وترعرعت على ذلك[6] 0

فضلاً عن ذلك أنّ نظام الإقطاع الذي نشأ ونما وتطور في أوربا في تلك المدة بعد أن كان من أجل حماية المجتمع من تلك القبائل الغازية أصبح عاملاً في مساعدة تلك القبائل على الحروب[7].

وبذلك استطاع وليام أن يجعل من انكلترا دولة موحدة ومن نفسه ملكاً عليها، ومن النظم التي نشأت في بلاط هذا الملك وسلالته ، النظم النيابية التي توارثتها دول العالم[8].

قام وليام بتكريم أنصاره بمنحهم الكثير من الأراضي والغنائم والمناصب والامتيازات الإقطاعية[9].

وجرد الأمراء المعارضين من أراضيهم التي هي مصدر قوتهم ووزعها على رجاله المخلصين من النورمان، ولما كان الاخيريين مضطرين للدفاع عن أنفسهم فقد بنوا القصور المحصنة، كما احتفظ هو بأراضٍ شاسعة أصبحت مُلكاً للتاج[10].

ولما كانت الفوضى والحروب في أوربا منذ القرن الحادي عشر الميلادي، فلم يكن ثمة سبيل إلى إعادة الاستقرار في أوربا إلا بعد استكمال ثلاثة من الأركان الرئيسية في الحكم وهي:-

اصبح هذا قانوناً يحترمهُ الناس ويسيرون على ضوئه ، فضلاً عن جباية مالية معلومة المبلغ والمواعيد ، زد على ذلك قوة حربية كافية للدفاع عن البلاد[11].

اجتمعت تلك الأركان في الحكومة التي تدين بها انكَلترا إلى الملك وليام ولان بدت تلك الحكومة استبدادية ملؤها القسوة فأنها دلت آخر الأمر إلى ما فيها من مزايا لصالح الشعب الانكَليزي[12].

وعلى الرغم أن وليام استمد شرعية فتح انكَلترا بمباركة من البابوية، إلا أن سلطته امتدت إلى رجال الدين، فحين فتح وليام انكَلترا وجد رجال الدين يعيشون حياة أقرب إلى الحياة المدنية من الحياة الكنسية[13] 0

ولم يكن بوسع وليام إصلاح كل رجال الدين ف استبدل بعضهم برجال دين من نورمانديا، فاستقدم القساوسة والأساقفة و رؤساء الأديرة، وكان على رأس أولئك لانفرانك Lanfrank الذي أصبح رئيس أساقفة كانتربوري، وتعاون لانفرانك مع وليام في وضع نظام جديد للأديرة وفُصلت المحاكم المدنية عن المحاكم الكنسية وجمع الضرائب لدعمها[14].

كان الصراع الانكَليزي – الفرنسي واضحاً في تلك المدة، فقد كان ملك فرنسا فيليب الاول (1060-1108) سيداً على كبار الأمراء الإقطاعيين لكنهُ لم يكن يتمتع بأي سلطان حقيقي على غيره من الدوقات والكونتات[15] 0

في حين إن الدوق النورمان دي الذي أصبح ملكاً على انكَلترا بعد العام 1066م عُد من الناحية العملية ملكاً نورمانديا في المقام الأول، لا مجرد كونه تابع إقطاعي لمملكة فرنسا. ولم يكن غازياً بل صاحب شرعي في العرش، إذ أنهُ ينتمي بصلة قرابة عن بُعد إلى الأسرة الملكية الانكَلوسكسونية[16].

بعد موت وليام انتقل حكم مملكته إلى ولديه وليام الثاني (1087م – 1100م) و هنري Henry (1100م – 1125م) وكلاهما كانا أقوياء، وان كان هنري قائداً ماهراً وفقيهاً في القانون، وإدارياً مبدعاً، واستطاع ان يقضي تماماً على حركات التمرد في انكَلترا، واستغل حالة الرخاء الاقتصادي المتزايدة وذلك بانتهاجه سياسة ضريبية مرهقة وكان بخيلاً ، ولكن عهدهُ اتسم بالحزم والمقدرة العسكرية وهما من المستلزمات الأساسية للحكم الناجح[17].

- الكنيسة وتأثيرها على الأوضاع العامَّة في انكَلترا:-

غرست الكنيسة المعتقدات الدينيَّة المسيحيَّة التي يؤمن بها المتجمع الأوربي فلا بدَّ من فهم الكنيسة فهماً تاماً لأنها مفتاح الأساس لذلك العهد المنصرم (العصور الوسطى)[18].

ففي القرنين الثاني والثالث انتشرت المسيحيَّة في كل مناطق الإمبراطورية شرقاً وغرباً حتى خارج الحدود إلى أقاصي الع الم المعروف وقتذاك، زد على ذلك اكتمال النظام الكنسي حسب المراكز المهمة في المدن الكبرى (روما، أنطاكيا) والأقاليم الرومانية الرسمية (آسيا الصغرى، أفريقيا الشمالية، أوربا )، فضلاً عن ذلك أنّ المسيحيَّة في البدء انتشرت لدى البسطاء والعمال والجنود لكن سرعان ما قبلتها طبقات المجتمع كلها[19] 0

وذلك دون تمييز عنصري بين العبيد والأحرار وبين النساء والرجال، وبين الرومان والبرابرة واليهود والوثنين فكلهم يعيشون الحياة المشتركة وسط أعضاء جماعة المؤمنين وحسب النظام المحلي البسيط المعتمد على الأخوة المسيحية فيما بينهم[20].

كانت الوحدة الأساسية لإدارة هذا النظام (الأبرشية) يحكمها القس وباتحاد الأبرشيات تتكون الأسقفية تحت رقابة الأسقف ، ومن إتحاد هذه تتكون المقاطعة ويحكمها رئيس الأساقفة ومن ثَمَّ رجال المحاكم إلى رجال الخزينة ورجال الإدارة إلى مجلس الكرادلة الذي كان البا با يعينهم وفيما بعد أصبحوا هم المسؤولون عن تعيين البابا الجديد، فضلاً عن الرهبان والراهبات وهكذا إلى أن تصل إلى روما[21].

وهكذا فإنَّ البابوية تنظم سيادتها على أسس إقطاعية مما جعل التطابق محكماً بين الكنيسة والجهاز السياسي في غرب أوربا[22].

وقد بلغتْ الكنيسة مرحلة حاسمة في تاريخها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وهو العصر الذي عرف بعصر البابا (Gregory7) أعظم بابوات العصور الوسطى ( 1073-1085) [23] 0

أن جريجوري السابع وقف ضد الإمبراطورية بعناد لإجبارها على الاعتراف بسمو البابوية وبأنها مصدر جميع السلطات السياسيّة و الدينيّة[24].

فنقم البابا وسخط من الحاجز الذي بناه وليام بينه وبين الكنيسة، لكن الملك لم يكن يسمح بأي تدخل بابوي في شؤون الحكم في انكَلترا، وقد حاول جريجوري السابع التدخل مرات عديدة ولكن دون جدوى مح ذراً ولیام من مغبة العواقب التي سوف تلحق بها جراء عدم الولاء له [25].

إذ لم يكن وليام مستعداً بأي حال من الأحوال أن يخضع لما كان يعّدهُ أفكاراً سلطوية جديدة ولكن يؤمن باستقلاله عن البابوية، أصدر عدة مراسيم ملكية، بأن لا يبرم أي بارون أو وزير ملكي كتباً دون الرجوع إلى الملك في ذلك الأمر وألّا يغادر أي أسقف إلى أي مكان دون أذن الملك ولا يسمح باستقبال أو قراءة أي رسالة ترد من البابا قبل تمريرها أو قراءتها للملك[26].

ومن ناحية أخرى، كان لرجال الدين الاثر الأكبر في تشجيع المزارعين وعامة سكان ا لمدن على المشاركة في الحملات الصليبية التي كانت من أهم أسبابها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المحيطة والجو الفكري المُشبع بالخرافات والتدين العاطفي والتعصبي، وهذه الدوافع التي حركت المقهورين من أبناء الغرب الأوربي في القرن الحادي عشر ومنهم المزارعين على و جه الخصوص إلى الاندفاع للمشاركة في هذه الحملات التي سميت باسم الصليب المقدس تحت زعامة البابا الدينية والسياسية[27] 0

ومن شدة ذلك التحمس الديني لم يفهم موقف المسيحيين الشرقيين، ولم تحترم كرامة المجتمع الإسلامي، لأنهُ لم يكن يفهم الفارس الغربي، إلا ا لشر والخير المنقسم بصورة مطلقة بين جماعته وغيرها وتعدُّ تصرفاته كالقتل والسرقة مع تأسيس الأمارات اللاتينية عن موقف التسلط الشديد بأُسم المبادئ الدينية والاجتماعية الكاذبة غير مستحقة للمسيحية الصحيحة، وفي هذه الحقبة من التاريخ كان بإمكان البابا أن يوحد كل ا لقوى الغربية للقيام بحملة إيمانية لكن تحقيق هذا الهدف كان يفوق طاقة المجتمع الغربي آنذاك لذا فأن نتائج هذه الحملات لم تكن إلا خسارة فضيعة، مع استمرار عداء أوربي للشرق المسيحي والإسلامي عبر القرون[28].

## المبحث الثاني

الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في انكلترا في القرن الحادي عشر

- طبقات المجتمع في انكَلترا:-

كانت لكل طبقة من طبقات المجتمع، خواصها ومميزاتها ومكانتها ونتيجةً لما تتمتع بها هذه الطبقات من مميزات في عصر الإقطاع، إذ كان هناك رجال الدين والنبلاء والفرسان والرقيق وهذا النظام وليد ظروف الا نتقال من عصر الدولة الرومانية إلى عصر الحكومات المحلية التي بدأت بالظهور في أواخر العصور الوسطى[29].

ويمكن إجمال تلك الطبقات كالآتي:-

1 - رجال الدين:-

كان رجال الدين هم الطبقة الأعلى في المجتمع الأوربي في تلك الحقبة ، وذلك لما يتمتع من قوة في إدارة شؤون الحياة المادية والثروة التي حصلوا عليها من المساكن والمكاتب والمزارع وجيش من الموظفين الذين كانوا يشتغلون في الفروع المختلفة في إدارة مدينة الله (الكنيسة)[30].

2 - النُبلاء والفرسان:-

كان أبناء النبلاء أمام خيارين إمّا الانخراط في سلك الرهبنة أو التدريب العسكري منذ حداثتهم فيتعلمون ركوب الخيل واستعمال السلاح حتى إذا ما شبَّ الواحد منهم انخرط في سلك بلاط أحد الأمراء الإقطاعيين كتابع صغير أو سيد صغير ليتعلم آداب السلوك في المجتمع وفي بداية مرحلة الشباب يمكن أن يرتقي الفتى إلى مرتبة مساعد فارس، وعندئذ يُسمح له بالاشتراك في المعارك مع الفرسان الذين يكبرونهُ سناً ويتعلم منهم فن الحرب[31].

3 - طبقة المزارعين والعبيد:-

لقد خضع المزارع في العصور الوسطى لحكومة ليس له في اختيارها نصيب وأحاطت به سلطات واحتكارات لم يشترك في فرضها، كما انهُ رضي بالمعيشة تحت تلك السلطات مع بدايتها من عدم صلاحية كلما طال عليها الأمد، ثم انه قنع بما في أفقه الضيق فلم يتجاوز تفكيره أطراف قريت ه أو المدينة المجاورة[32].

أما عن العبيد الذين كان عملهم الجسدي في منزل السيد غير كافٍ وغير مقيد فتمَّ نقلهم للعمل في الأرض الزراعية[33] 0

فضلاً عن ذلك أنّ الكنيسة كانت تُصر على انّ العبيد لهم أرواح تحثَّ السادة على معاملتهم بوصفهم مسيحيين[34] 0

وقد اعتاد الفرد أنّ من يخدمه بأجره فهو أقل منه قدراً ويعده في وضع اجتماعي متدنٍ[35] 0

إذ كان مالك الأرض سيداً أقل تعسفاً من الإمبراطورية الرومانية وكان في أغلب الأحيان يستطيع الدفاع عن مستأجريه ضد حروب الإجحاف والظلم التي عاملتهم بها قوانين الإمبراطورية[36].

- تطور النظام الاقتصادي:-

إن اقتصاد انكَلترا في القرن الحادي عشر اقتصاداً طبيعياً مرتبطاً بالأرض، إذ اتّخذ طابعاً زراعياً بحتاً من نهاية القرن الثامن فأصبحت الأرض هي المصدر الرئيس للثروة واعتمدت جميع طبقات المجتمع على ماتدرهُ الأرض من خيرات فهي الأساس الذي قام عليه بناء الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة آنذاك [37].

فالسكن في الريف والغذاء واللبس والأدوات كلها أمور في غاية البساطة، تنتج محلياً، إذ كان الفقراء يسكنون في أكواخ خشبية ذات سقف من القش ويعيشون على الخضر، أمّا خبز القمح واللحم فكانا طعام الأغنياء أيام الآحاد ويعتمدون على سواعدهم في كل ما يحتاجون إليه [38]0 لقد كانت (الضيعة)[39] ، وحدة نظام الملكية الزراعيّة في تلك العصور، كما كان الإقطاع وحدة نظام الإقطاعي بمعنى أن الإقطاع كان يمكن أن يتألف من عدة ضياع، وكانت الضيع ة أشبه بمملكة أو عالم صغير يحكمها سيد يتمتع بسلطة مطلقة ويمتلك جميع مقومات الاكتفاء الذاتي، فالضيعة كانت تكفي نفسها بنفسها الى حد كبير وتنتج جميع المواد الغذائية وغير الغذائية اللازمة لاستهلاك أهلها، ماعدا بعض الكماليات كالتوابل التي يمكن لصاحب الضيعة أن يستوردها إذا أراد ان يستعملها[40].

ثم وجدت حالة من السلام والاستقرار في القرن الحادي عشر مكنتْ التجار من مباشرة نشاطهم وبالتالي ساعدت على ازدهار المُدن فضلاً عن ذلك ما كان من حركة الإصلاح الكنسي التي ترتبط في التاريخ باسم دير Clooney ، ثم جاءت الحروب الصليبية لتضيف عاملاً مهماً إلى العوامل التي أدت إلى تحطيم نظام الإقطاع، وتشجيع التجارة والصناعة بحيث لم تعد الأرض مهد الثروة[41].

استمرت التجارة لكن ليس في أي من أساسيات الحياة إلّا في مواد الرفاهية والتوابل والمواد اللازمة لثياب البلاط وملابس رجال الكنيسة[42].

فالأمراء المحليون سمحوا للتجار (اليهود) بالإقامة بجوار حصونهم، نظراً للفائدة التي تعود عليهم من وراء فرض الضرائب على تجارتهم من ناحية وإثارة نوع من النشاط التجاري في انكلترا في ذلك العهد من العصور الوسطى، وكان هؤلاء التجار أول الأمر م تنقلين لا يعرفون حياة الاستقرار في منطقة بعينها، لكنهم اخذوا يستقرون تدريجياً بعد ذلك ليجعلوا في بيوتهم مخازن تجاريّة حقيقيّة[43].

وفي لندن كانت تجارة الرقيق التجارة الرائجة [44] ، فالجواري يحملون إلى أسواق مصر والشرق فضلاً عن الأخشاب والحديد ويستوردون بدلاً منها مختلف الحاصلات الشرقيّة[45].

والتجار يتعاطون الأعمال بين مدينة وأخرى، والأرباح التي يحققونها يجب ردها بعد كل حساب إلى المنافع التي يجنيها سكان المدن الأغنياء[46].

أما الصناعة فكانت تعمل عادة للسوق المحلية، غير إن صناعتي النسيج والتطريز كانت أكثر تقدماً عن سائر الصناعات ، فضلاً عن صناعة الجعة والنبيذ، وغزل الأصواف (70) 0

إنّ هذه الحرف فتحت باباً للعمل أمام المرأة بشكل كبير، على الرغم من حرص بعض النقابا ت على تحريم اشتغال النساء بأعمال معينة بسبب رخص أجورهن حتى لا تنافس الرجال في تلك الأعمال وبذلك تهيأت لهن قسطاً من الثقافة الراقية والعمل المنتج[48].

## المبحث الثالث

الإقطاع في إنكَلترا في القرن الحادي عشر

- تعريف الإقطاع:- ((Feudal))

كان الإقطاع في القرن الحادي عشر هو الأساس الذي تقوم عليه الحكومة المحلية والقضاء والتشريع والجيش وكل السلطة التنفيذيّة في تلك المدة [49].

فهو إذن نظام سياسي واجتماعي واقتصادي كبير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض، وتلك الأرض كان الإمبراطور يهبها للملوك و أولئك يمنحونها للإشراف والنبلاء، وهكذا إلى أن تصل إلى رقيق الأرض في أسفل السلم الإقطاعي[50].

وقد عُرف الإقطاع على انهُ تجربة عملية فرضتها الحوادث على المجتمع الإنساني عامةً، والأوربي خاصةً، لتستعيض بها عن الحكومة المركزية البعيدة عن متناول الجماعات، وابتغاء الحصول على قسط من الآمن، وهو الذي من أجله عملت الجماعات وكدت وبذلت منذ فجر التاريخ[51].

وربما فأن الإقطاع حالة لم يتم فيها إحلال السلطة على أسس تحالفيه شعبية قومية من قبل الأفراد تجاه حكومتهم المركزية ولكنها وضعت على أسس خاصة تتعلق بالأفراد فيما بينهم تلك العلاقة التي جعلت من السيد شخصية نمطية مالكه للأرض لها مميزات الحاكم والقائد الحربي، فيما يظهر التابع متلقياً لكل تلك الأمور، ومسيطراً عليها فيها[52].

وبمعنى أدق ، فالإقطاع :- هو مجموعة من النظم والقوانين خضع بموجبها رجل حر لرج ل حر آخر هو السيد، إذ أدى له يمين الولاء والخدمة ولاسيّما

الخدمة الحربيّة، ونظير ذلك التزم السيد بحماية تابعه والإنفاق عليه، ثم تطور الأمر إلى منحه قطعة أرض اتخذت أُسم إقطاع[53].

ومما تقدم يمكننا القول إن الإقطاع :- هو نظام شامل لعدة أنظمة تحكم المجتمع وهو يوضح أو يحدد موقف الفرد وعلاقته بمن هو أعلى منه، وبمن هو أدنى منه، وهو يعتمد أساساً على الأرض الزراعية[54].

- أركان الإقطاع:-

إنّ الأركان الرئيسة للإقطاع تتمثل في (المجتمع القروي، نظام الدومين، عصر النمو الإقطاعي)، وعند دراستنا لاثنين هما الركنان الرئيسان من الأركان الثلاثة التي تكون منها المجتمع الإقطاعي وهما (القرية والدومين) فأننا بذلك سنهتدي إلى صورة واضحة للنظام الإقطاعي الذي قام بين الناس في تلك الفترة[55]. وأولى تلك الأركان هي:-

1 - المجتمع القروي:-

تكونت القرية الإقطاعيّة م ن مجموعة من المزارعين بعضهم من الأقنان والبعض الآخر من الأحرار، إذ كان هؤلاء المزارعون يبنون أكواخهم قرب قصر أو قلعة السيد الإقطاعي وذلك للاحتماء به، لذلك كانت الأكواخ متقاربة من بعضها داخل أسوار القرية من أجل الأمان[56].

فالمزارع يُعد أساساً ل لمجتمع القروي، إذ تفاوت المزارعون أنفسهم مابين عبيد وأحرار[57] 0

على الرغم من أن الغالبية العظمى كانوا قد شغلوا حالة متوسطة في القرنين التاسع والعاشر الميلادي عرفوا (بالاقنان) وهؤلاء الذين ارتبطوا بالأرض[58].

عاش المزارعون بتعاسة ، بحكم كونهم من العبيد والاقنان الذين لا يملكون شيئاً و لا يستطيعون التصرف في شيء لانّ القَن لم يكن له ربح سوى ما يلتقطه بكده وتعبه، وسكن المزارعون أكواخاً بنوها بأنفسهم من فروع الأشجار وجذوعها وأحياناً، كان يجتمع في تلك البيوت الخشبية عدد من أولئك المز ارعين يعيشون معاً ويشتركون في خدمة السيد الإقطاعي[59].

فالقرية كانت وحدة اجتماعيّة ودينيّة فالقرويين يحتفلون بأعيادهم ومناسباتهم بزواج أبناءهم وبناتهم في نطاق المجتمع القروي[60].

إنّ المجتمع الإقطاعي الأوربي اعتمد على ذلك المزارع اعتماداً كلياً يصعب فهمهُ على أبناء العصر الحاضر في أوربا منذ طغت اقتصاديات التجارة الدولية والسندات المالية والشركات والمناجم والمصانع على كل شيء ، فمن المزارع مباشرةً استمد البابا ورجال الدين والملوك وسائر سادة المجتمع الإقطاعي قوتهم ، يأكلون ويشربون ويلبسون، فضلاً من الله ونعمة[61] 0

لذلك لم تخلُ الحياة في الريف الانكَليزي من مظاهر العصور الوسطى خلواً تاماً، فإنّ الشائع في انكَلترا لا يزال يصادف هنا وهناك هذه الحقول المكشوفة وقطع الأراضي المُبعثرة التي كانت تميز المزارع في العصور الوسطى وعلى الرغم من أنّ انكَلترا كانت أولى الدول التي استبدلت هذا النظام بنظام آخر يقوم على إنشاء المزارع الواسعة المسورة التي توفر أصحابها من النبلاء على تحسينها، وإن كانت انكَلترا لا تزال تحمل من رواسب العصور الوسطى ما تحمل[62].

إذ ظلتْ الحصص الزراعيّة على بعثرتها في انكَلترا حتى زمن الكاتب أرثر ينج في القرن الثامن عشر الميلادي ولا يزال نظامها باقياً إلى وقتنا هذا في بعض المدن الأوربيّة، ولذلك يمكننا الاتفاق أنّ العبارة الآتية خير ما يصدر به كل باحث بحثه في النظام الزراعي في العصور الوسطى وهي (( إن حصة من حصص فلان تبلغ مساحتها ثلاثة أرباع من فدان، يحدها من الشمال فدان في حوزة فلان، ومن الجنوب نصف فدان في حوزة فلان، ومن الغرب الطريق العام، ومن الشرق فدان من أراضي الدير الفلاني )) وان هذه العبارة واردة في وثائق العصور الوسطى أي بدفاتر الضرائب وسجلات أملاك النبلاء السالفين في تلك العصور وهكذا تلاشى ذلك المجتمع القروي كما تلاشى معهُ كل نظام الزراعة المشترك في غرب أوربا[63].

2 - <u>الدومين:-</u>

وتعني كلمة (Dominuie) السيد المالك ولمّا كان السيد المالك ولما كان السيد المالك قد أطلقت عليه أسماء مختلفة في أنحاء أوربا منها (Lord) وتعني المستشار في انكَلترا، (Baron) أو (Doge)، فمعنى ذلك إن تلك الألقاب لا تبعد كثيراً عن كلمة السيد المالك في درجات مختلفة[64].

نظام الدومين:- هو النظام الذي انتقلت خصائصهُ دومين العصر الإقطاعي أي من القر ن التاسع الميلادي فصاعداً، فصارت الأرض الزراعية تنقسم على قسمين رئيسين يختص السيد بأحدهما ويوزع ثانيهما بين المزارعين حصصاً مقابل ما يؤده للسيد الإقطاعي المتملك أعمال الحرث والزرع والحصاد في الأرض الخاصة به[65].

لقد كانت العلاقة بين السيد والمزارع عبارة عن توازن بين الاحتياجات والقوة النابعة من حاجة الإنسان الملحة إلى السلطة وحب التملك وحاجة الإنسان الضعيف إلى الحماية والبقاء، اذ أكدت العلاقة ان كلاً من النُبلاء والمزارعين قد ولدوا مناسبين تماماً لأوضاعهم، وإنهم يجب ان يبقوا هكذا إلى الأبد، كذلك كان هناك اعتقاداً ان دماء النبلاء تختلف تماماً عن دماء غيرهم[66].

إذنْ فإنَّ تنظيم المجتمع يكون على أساس التعاقد بين الأفراد فكل أنواع التنظيم السياسي والعلاقات الاجتماعية ترجع إلى العقد الإقطاعي، إذ اعتمد الوضع العام لكل فرد من الأفراد على حالة م ن الأرض وحدد تملك الأرض ما هنالك من حقوق وواجبات سياسية، مثال على ذلك التنظيم العام في انكَلترا قام على أساس إنّ جميع الأراضي يمنحها الملك لعدد معلوم من كبار الإقطاعيين وإنّ سائر السكان في انكَلترا خاضعون للقانون عن طريق سادتهم[67].

* أما الركن الثالث من أركان الإقطاع هو:-

3- النمو الإقطاعي :-

لقد استغرق النظام الإقطاعي في عملية النمو مدة القرنين التاسع والعاشر الميلادي على أقل تقدير، ذلك خلال أحداث سياسيّة صاخبة واضطرابات اجتماعية واسعة، ويمكن تقسيمهُ بدوره على عصور ثلاثة وهي (عصر التمهيد للنظام الإقطاعي، عصر نموهُ، عصر نضجه واكتماله)[68].

ومن مقدمات التمهيد للنظام الإقطاعي فساد الحكومة المركزية للدولة الكارولنجية، وكثرة الحروب الأهلية والغزوات والركود الاقتصادي هذه الظروف كلها ساعدت ومهدت على ظهور الإقطاع لحالة جديدة قابلة للتطور نحو المحلية[69].

أي إن المجتمع الإقطاعي في عصر تمامه أشبه في بنائه شكلاً هرمياً رأسهُ الملك أو الإمبراطور وتحت ذلك طبقة كبار الملاك ويليهم صغارهم، وبهذا ان طبقات المجتمع تكونت تكويناً فردياً منفصلاً ثم جمعتها سلسلة من التطورات فجعلت منها بناءً واحداً متجانس الأجزاء[70].

- الجيش والفروسية في ظل النظام الإقطاعي :- كانت الحرب هي الرياضة المفضلة عند الفرسان وغيرهم من أفراد الطبقة الارستقراطية في المجتمع الغربي الوسيط، ففيها يشبعون رغبتهم التي ورثوها عن أجدادهم الجرمان فقد كان يحدد يوم النزال بين فريقين من ا لفرسان يمثلان في معظم الأحيان صاحبين متخاصمين ويكون الحكم أحد الفرسان، اذ كان يصطف المتبارزون على ظهور خيولهم ويستمر القتال حتى ينتصر أحد الفريقين على الأخر ويجرده من سلاحه،

كانت تلك الهوية لعبة خطيرة، لا تراق فيها دماء ولا تزهق فيها الأرواح ومع ذلك ينال ا لغالب شرفاً كبيراً، فضلاً عن الأسلاب والغنيمة، فقد كان من حقه الاستحواذ على خيل المغلوب وسلاحه، مالم يستردهم الأخير مقابل مبلغ معلوم[71].

ففي المجتمع الإقطاعي الحربي، منح السيد الإقطاعي تابعه لأراضي زراعيّة مقابل الولاء والخدمة، وكانت خدمة عسكرية فرو سية في المقام الأول وعرف ذلك بالإقطاع العسكري، وكان ذلك النظام استجابة منطقيّة لمتطلبات الدفاع المحلي ، وندرة الأموال التي حتمت منح الأرض مقابل الخدمة بدلاً من دفع النقود [72].

ونظراً لانّ الصفة التي كانت غالبة على ذلك المجتمع في القتال وممارسة الحرب الإقطاعّية، فقد حاولت الكنيسة أن تعد من تلك الحروب وان تحول جهود الفرسان إلى ما عدته نفعاً وفائدة، فبذلت الكنيسة كل ما طاقتها، محاولةً حصر نطاق الحرب في المجتمع الإقطاعي خلال القرن الحادي عشر بصفة خاصّة[73].

واشتدت الكنيسة في الدعوة إلى منهجها الرسمي، وفي الحرص على أن تنال نصيبها من الغنيمة في الحرب [74]0 لذلك قررت الكنيسة بأسم (السلام الإلهي)[75].

وهي التي يتحتم فيها تحريم القتال، وفرضت على النبلاء الإقطاعيين أن يكونوا جماعات لحفظ السلام، وان يدعوا بعدم القتال في أيام معينة، ويبدو أنّ رجال الدين كانوا قد نزعوا إلى فكرة تحويل نشاط الفرسان إلى قتال المسلمين[76].

فقد كان الجيش الإقطاعي جيشاً نظامياً بحكمه ائتلاف إقطاعي وكان يتولى قيادة ذلك الجيش الأمير أو الماركية أو الدوق أو الكونت، أما الأسقف فكان يتقلد برتبة لواء والقسيس أو الراهب رتبة نقيب، أما الفرسان يلتحقون بسلاح الفروسية، بينما كان مراقب الأملاك (الوكيل) مساعداً مباشراً للسيد أو مالك الأرض أمّا البسطاء فقد كانوا عبارة عن وحدات مشاة وكانوا يسيرون خلف الجيش ا لإقطاعي والذين شاركوا في العديد من الحملات الصليبية عبر التاريخ[77].

أما عن صفات الفارس فكانت تعبر عن مستوى معين في الأخلاق والسلوك ويجب أن يتحلى بها أفراد تلك الطبقة من المحاربين في علاقاتهم مع بعضهم البعض، فالفارس يبتغي أن يكون شجاعاً إلى درجة الهجازفة والتصور يقاتل وفقاً

لقواعد خاصة دون أن يلجأ إلى الخديعة والأساليب الخسيسة للتغلب على خصمه، فضلاً عن ما يجب أن يتحلى به من وفاء لأصدقائه وتبجيل للمرأة واحترام العهد، وإذا انتصر على خصمه عاملهُ معاملة كريمة وَعَّد الأسير ضيفاً يحسن معاملته بل وإطلاق سراحه ليتمكن من جمع فديته وأحياناً يتم قبول ابن الأسير أو أخيه رهينة إلى أن يقوم الأسير بجمع فديته وينبغي أن يتحلى الفارس بالفضيلة والكرم والسخاء والجود والعطاء[78].

وكان الفرسان يرتدون عادةً القميص والجوارب الطويلة، فالأول عبارة عن صدار يربطهُ حزام م ن الوسط، والثانية أشبه بشيء من سراويل مشدودة على الساقين والفخذين بإحكام وأحياناً في حالات البرد والاحتفالات يرتدي معطفاً يربط من أعلاهُ حول الرقبة حتى لا يعوق مقبض السيف[79].

ويُعد الفرس الذي يمتطيه الفارس الجهاز الأساسي للحرب، فبدونه لا يُعُّد الفلوس فارساً، فهو فرس (مطعم) مزود بالسرج والركاب واللجام (80) 0

ولقد كانت الفروسية عماد الحروب الإقطاعيّة [81]. والفارس نوعان هما فارس السيف و(فارس الحمام)[82] 0

أما فارس السيف فهو الذي أخذ ذلك اللقب في ميدان القتال، نظير بسالة في الحروب أما فارس الحمام فقد مّر بمراحل كثيرة منذ صباه[83].

ولابد الإشارة إلى المعاقل والحصون فقد كانت معاقل يلوذ بها أهل المنطقة فراراً من هجمات الأعداء وبخاصة الفايكنج، وتطورت مع تطور النظام الإقطاعي، حتى غدا الحصن الإقطاعي مقر السيد وحاشيته وبذلك صارت الحصون الإقطاعية مسرحاً بجزء كبير من النشاط الاجتماعي للطبقة الإقطاعية في العصور الوسطى[84].

لذلك كانت طبقة الجيش والفروسيّة ثمرة لنظام اجتماعي قديم كما كانت تتمتع بامتيازات عظيمة وتوكل إليها مسؤولية لحماية الإمبراطوريّة في تلك الفترة[85].

- القضاء الإقطاعي:-

كان القانون الإقطاعي نظاماً في غاية التعقيد، فقد حرم الأبناء من حصتهم في الميراث حيث جعلهُ للابن الأكبر أدى ذلك إلى انتشار الأحقاد بين الأخوة وفي الأسرة الواحدة، الأمر الذي صعد الفوضى والفساد في البلاد[86].

وقد جرت العادة أن يقوم بالوصاية الخال الأكبر للوريث نظراً لأنه لا يملك أي حق وراثي في الإقطاع وفي كثير من الأحيان كان يتولى السيد الإقطاعي نفسه الوصاية على الوريث وأرضه[87].

لقد أذعن جميع ا لمزارعين بدون استثناء للقاضي في محكمة السيد الإقطاعي في حين لم يتبع الأمراء الآخرون إلا في النادر التقاضي أمام المحاكم العامّة في حالة الجرائم والجنح وقد تنوع اختصاص السلطان القضائي الإقطاعي في الاقطاعات المختلفة تبعاً لمدى الجور الإقطاعي على سؤدد الملك، و لقد بلغ ذروتهُ في فرنسا ووصل إلى أدنى مستواه في انكَلترا، ولكن أينما كان فانه شمل على الأقل المسائل التي تخص الإجراء والعمال و (المكوس)[88] وزراعة التربة[89].

فعادةً كان إجراء المحاكمة عن طريق القتال أو صدور حكم الخيانة فإذا حدث النزاع على الأرض أو ج رى اتهام شخص باغتيال رجل دون مبرر تخلت المحكمة الإقطاعية للمتقاضين تسوية النزاع بينهما عن طريق القتال فإذا حلت الهزيمة بأحدهما تفرض عليه العقوبة التي نص عليها القانون الإقطاعي[90] 0

فضلاً عن انتشار الرشاوى في المحاكم الإقطاعيّة ومعنى ذلك إن القضاء دائماً سيكون في جانب الشخص الذي عندهُ قدرة مالية أكبر للدفع ولما كان المزارع أقل درجة مادية فمن الطبيعي أن تكثر الأحقاد فيما بينهم[91].

وفي انكَلترا تجنب القانون ازدواج فكرة الملكية المرادفة بين ملكيّة الرقبة وملكية الخدمة، غير أن ضرورة عدَّ نوعين من الملكية في جميع أحوال التملك أدى ذلك عن طريق غير مباشر إلى إضعاف الأرض حول التملك المتمتع بالحماية الفعلية، والتملك أخذ يتضاءل في أواخر أزمنة الانكَلو سكسونية في انكَلترا، والواقع ان المحاكم الانكَليزية أخذت تُهتم في قضايا الملكية، وهي ان الطرفين المتنازعين أحق في دعواه على وجه التحديد، بدلاً من الاهتمام أيهما أجدر بأن يعتبر صاحب الحق في الملكية[92].

إذنْ ان المحكمة الإقطاعية كان لها الدور الكبير في الفضل في كافة الشؤون المتعلقة بالملكيّة موضوع النزاع، والخدمات التي يتم تأديتها والغرامات غير المسدودة وهكذا[93].

وأشرفت المحاكم في القرية برئاسة وكيل السيد الإقطاعي على تنفيذ تلك الالتزامات المختلفة، ولأن الحماية والقانون لم يكن كافياً ومنصفاً لجميع الناس فكان لابدّ من إن الفرد يبحث لنفسه عن ظهر يستند اليه من أجل البقاء، حيث

أضحت الحماية التي تعهدها السادة الأقوياء من الإقطاعيين عاملاً مهماً في ضمان الآمن والاطمئنان لجميع الناس[94].

نستخلص مما تقدم إن المزارع في العصور الوسطى لم يفكر إلا في شؤونه الخاصّة، فإذا اعتدى جاره على خط من أرضه فاق اهتمامه لذلك عن اهتمامه بأي أمر من الأمور العامّة، إذ إن القرية هي الدولة والحكومة عندهُ وشؤونها هي وحدها التي تمس حياته ومعيشتهُ وكيانهُ[95].

**المبحث الرابع**

انحسار النظام الاقطاعي وانحلاله :-

من العوامل التي ادت الى انحلال النظام الاقطاعي هي التطورات الاجتماعيّة والاقتصاديّة وأهمها :-

نشأة المدن وتطورها :-

إنّ عدم كفاية الروابط الاقطاعيّة لاقامة النظام في مجتمع لايعترف الا بالحقوق الفردّية وكذلك التقاليد

العنيفة للارستقراطية والتي لاتعرف سوى معنى الحرب تتسبب غالباً في حروب خاصة وتكون من بين

نتائجها الاستعباد ، وهروب الاهالي من الارا ضي وتخريب المدن والارياف 0[96]

وكانت للحروب الصليبيّة الأثر الكبير في ترك الفلاحين أراضيهم للاشتراك في النشاط الصليبي [97] 0

كل هذه الأسباب دفعت الطبقات الشعبيّة محاولة منها التخلص عن التحكم الاقطاعي ، كونه يتمتع بأمتيازات شخصية في صال ح مجموعة نبلاء تخضع للملكية ومكروهة من جانب الشعب والتي تثقل على كاهله دون ان تعطي له خدمة عامة [98] ، فأصبح حجر عثرة في سبيل اتساع المشروعات الاقتصاديّة 0 [99]

وهذا ماحدث في انكلترا بنوع خاص ، اذ اخذ الاقنان ينزحون الى المدن عندما انحل النظام ا لزراعي القائم على اكتافهم ، فرحبت المدن بنزلاء جدد من الاقنان يسهمون في توفير الايدي العاملة اللازمة ويعيشون في الضواحي القريبة

خارج أسوارها ، فالفرد منهم يتمتع بحرية كاملة داخلها فيتخلص من كل أثر العبوديّة التي لازمته في حياة الضيعة وحتى قيل ان جو المدينة يخلق الحرية ولكن تساهل المدينة من هذه الناحية لايعني بأي حال تساهلها في منح حقوق المواطنة لغير أهلها فالافراد الذين لاينتمون الى المدينة يعدون أجانب او اغراباً ، ليس من اليسير ان يصبحوا مواطنين فيها [100].

إلا أن يقسموا على احترام نظم المدينة حت ى لا يخرق قوانينها فأتّجه الأقنان للعمل كعمال مأجوريين فيبدأون عملهم في مطلع الفجر وينتهون منه في غسق الليل الا في مساء السبت وإيام الاعياد ، اذ كان في السنة مايقرب ثلاثين يوماً من أيام الاعياد لكن الايام التي كان العامل يستريح فيها من الكدح في انكلترا لم تكن تزيد على ستة ايام [101] 0

فالعمل المتواصل في جميع النواحي ومنها الصناعيّة والتجاريّة ، ادى الى تطور المدن ذلك لان المدن القديمة أصابها الذبول نتيجة للاخطار التي تعرضت لها الامبراطورية الرومانية فتناقصت مساحاتها وقلت هيبتها ولم تعد مركزاً للنشاط الحيوي في اوربا [102] 0

ومن الطبيعي ان تختلف المدن في تاريخ نشأتها ولكنها اتفقت جميعاً في العوامل والظروف الأساسيّة الي صحبت هذه النشاة وادت اليها ، وكانت كل مدينة تحيط نفسها بسور جديد يحدها ويحميها ولم يلبث نمو المدينة واتساعها قيام ضواحي فيقام سور جديد خارجها بعد هدم السور الاول وكذلك جرت العادة بحفر خندق حول سور المدينة الخارجي وعلى هذا الخندق يقام جسر متحرك امام البوابة يرفع ويدلى حسب الحاجة ولما كانت مساحة المدينة محدودة ، فإنّ أراضي البناء كانت باهضة القيمة ممادفع أصحاب الأملاك الى بناء مباني عالية ذات طوابق متعددة للحصول على ايجارات مرتفعة من السكان ، اما سوق المدينة فكان في ميدانها الرئيس العام ، وهو الميدان التي تطل عليه كنيستها ومبناها الحكومي واتساع الاسواق زاد الانتاج وزيادة الانتاج انعشت التجارة [103] 0

وكانت ما تنتجه الأسواق المطردة الاتساع هو الذي هيأ السبيل للنظم الاقتصادية القوميّة التي قامت عليها المدن الحديثة [104] 0

وعرفت المدينة التي ارتبطت عناصر سكانها بحلف للحصول على استقلالهم بأسم القومونات والتي ظهرت في أواخر القرن الحادي عشر في غرب اوربا ، إذ اجتمع الكثير من سكانها من التجار والصناع والنبلاء ضد الأساقفة

وانتزعوا منهم السلطة والنفوذ لغرض التمتع بنفوذ سياسي واسع واستقلالية مطلقة [105] 0

ومهما كانت عيوب هذه القومونات في بعض النواحي إلّا أنّها نجحت في استبعاد الاقطاع من المراكز الرئيسة للصناعة والتجارة في المدن [106] 0

النقابات :-

كانت كلمة gild الانجليسكونية والتي اشتقت من كلمة guild اي النقابة الطائفيّة في العصور الوسطى ، وتعنى أول الأمر الاشتراك في مال عام ، ثم اصبحت تعنى فيما بعد الاشتراك في الجماعة التي تشرف على هذا المال ، ووردت أول اشارة الى النقابات الانكليزية في عام 1093 [107] 0

وقد قامت نقابات الحرف على اساس اخ تيار اعضائها وانتقائهم ، فكان لايسمح لفرد عضويتها الأبعد أن يقدم أدلة كافية على ولائه الديني واخلاصه السياسي ، فضلاً عن مهارته الفنية ، وكانت النقابة الواحدة تضم عدة فئات من الصبيان والعمال والاسطوات [108] 0

لكن أكثر نقابات القرن الحادي عشر كانت نقابات التجار ولم تكن تضم إلاّ التجار المستقلين ورؤساء العمال وكانت تحرم من الانضمام ممن يعتمدون على غيرهم ، ولم يحل القرن الثالث عشر حتى كان لكل مدينة مهمة في انكلترا تقريباً نقابة او اكثر ، وحتى كان نوع من الاشتراكية النقابية يسيطر على أحوال الناس في انكلترا [109] 0

الصناعة والتعدين :-

وخطا الناس بعض الخطوات في مجال صناعة المنسوجات والمصنوعات الزجاجيّة والعطور والصناعات الحديدية ، وعملوا على تسخير القوى الطبيعية واستعمالها لمنفعتهم ، من خلال استعمال الطاحونة المائية في انكلترا في ع ام 1086 الي عدت اداة رئيسة من ادوات الصناعة [110] 0

فضلا عن اعمال التعدين التي نهضت وقتئذ نهضة فجائية عظيمة ومنها استخراج الذهب والفضة وكان الحدادون والصائغون كثيري العدد وذلك لانّ الذهب والفضة لم يكن يستعملها الناس للمباهات بمكانتهم او لاخفائها فحسب بل كان يستعملان فوق ذلك لوقاية صاحبها من العملة المنتقصة فأعطاه من الازمات نوعاً من الثروة يستطيع تحويله الى طعام أوسلع ، فادعى ملوك انكلترا انفسهم الحق في ملكية جميع رواسب الذهب والفضة ' اما المعادن الدنيئة فكان

بإستطاعة صاحب الأرض ان يستخرجها بشرط ان يدفع عن ذلك اتاوة للملك ، وكان فحم الخشب هو الذي يستعمل في صهر المعادن ، فالكثير من الخشب يستعمل في افران ظلت حتى ذلك الوقت بحالتها البدائية [111] 0

التجارة والنقود :-

كانت المدينة سوقاً تجارياً مركزياً يتعارض مع الفكرة التي قامت عليها التكتلات الإقطاعية للضياع مما ترتب عليه انهيار نظام الاكتفاء الذاتي للضيعة وقيام العلاقات المتبادلة مع المدينة فيرسل إنتاج الريف الى أقرب مدينة ليباع فيها بدلاً من إرسالها الى مقر المالك الاقطاعي[112] 0

فامّا التجارة فلم يكن بمقدورها أن تتقدم ما دامت قائمة على المب ادلة بل اصبحت تتطلب مستوى ثابتاً للقيم وواسطة للتبادل سهلة ووسيلة ميسرة مفتوحة لاستثمار الأموال وكان من حق سادة الإقطاع وكبار رجال المدن في القارة الأوربية في عهد الاقطاع أن يسكوا النقود ولهذا عانى الاقتصاد الاوربي الأمرين من جراء الفوضى النقدية [113].

فإنّ التقدم في استعمال النقود سار سيراً حثيثاً على الرغم من ان اقتصاد المدن استنبع التوسع في نظام الأجر النقدي بدلاً من نظام الخدمة الاقطاعية [114] 0

ولم يكن الانكليز عملة ذهبية الاّ في عام 1334، اذ ظلت عملتها الفضية اكثر العملات استقراراً في أور با في تلك الفترة ، لقد كان أهم مصدر للنقود هو الكنيسة وذلك بفضل ماكان لها من رأس مال تستطيع توجيهه في جميع الأوقات ولأي غرض تشاء فهي بذلك أعظم قوة ماليّة في العالم المسيحي في العصور الوسطى ، وكان التجار الاغنياء يبرمون من غطرسة الاشراف ، ويحتقرون ويستغلون طبقة الصناع ويقيمون في بيوت مزخرفة ، ويبتاعون الاثاث الجميل ويتغذون الاطعمة من خارج البلاد ، ويلبسون الثياب الغالية ، وكانت نساؤهم تلبس الحرير والفراء والجواهر ، وكان التجار الاغنياء يبرمون من غطرسة الاشراف ، ويحتقرون ويستغلون طبقة الصناع ويقيمون في بيوت مزخرفة ، ويبتاعون الاثاث الجميل ويتغذون الاطعمة من خارج البلاد ، ويلبسون الثياب الغالية ، وكانت نساؤهم تلبس الحرير والفراء والجواهر [115] 0

وظلت المبادلات التجارية في جميع البضائع كالجلود والفراء والبخور والعطور والصناعات الحديدية وغيرها [116] 0

وسائل النقل :-

ان وسائل النقل كانت أقل العوامل تقدماً ، حيث ان معظم الطرق الرئيسة في العصور الوسطى مليئة بالاتربة والأقذار والأوحال ولم تكن هناك قنوات تنقل الماء من الطرق ولهذا كثرت الحفر والبرك وكانت القناطر قليلة وعربات الركوب كبيرة وغير مريحة ، فلم تكن الأموال المتوفرة كافية لانشاء عربات جديدة وإصلاح الطرق حتى القرن الثالث عشر ، اذ شرعت مدن انكلترا ومنها لندن في رصف شوارعها واصلاح القناطر وتشيدها ، وأكثر مايستعمله الناس في النقل هي المسالك المائية ، فأصبحت السفن لها شأن عظيم في نقل البضائع فقد كانت السفينة الواحدة تحمل ماتحمله خمسمائة دابة ، وكانت الى هذا اقل نفقة من الدواب ومن أجل ذلك كانت انهار أوربا المنتشرة من نهر Tagus الى نهر Volga من أهم مسالكها العامة ، وكان اتجاه هذه الانهار ومصابها العامل الرئيسي في انتشار السكان ونمو المدن ، بل والسياسة العسكرية للأمم في كثير الاحيان [117] 0

ومع هذا كله فإنّ ا بواكير الثورة الاقتصاديّة التي قامت في القرن الثالث عشر هي التي قضت آخر الأمر على الاقطاع وهي التي امدت الاعمال الصناعيّة والتجاريّة بالالات اللازمة لتقدمها ، ومانشأ من هذا التقدم زيادة كبيرة في سلطات الرجل الأوربي ووسائل راحته وكان تيار الصناعة والتجارة الجارف قد اكتسح العقبات المتآصلة عن طريق التطور البشري ، ودفع الناس الى الأمام من مجد الكنائس الكبرى المشتت الى مرجل النهضة الشامل [118] 0

**خلاصة البحث**

توصل الباحث الى عدد من الاستنتاجات الاتية :-

هيأ الفتح النورماندي الظروف لظهور الإقطاع وهو نظام سياسي اجتماعي واقتصادي قائم على استثمار عبيد الأرض و الاقنان والحرفين، إذ لم يكن وليداً لفكرة معينة أو سنة محددة، وإنما جاء بسبب انتشار الفساد والفوضى في تلك المدة وأهم عناصره هو السيد الإقطاعي وصفته مالك الأرض والتابع من طبقة العبيد والمحكوم عليه بفلاحة الارض والعمل فيها ، اذ تكون المجتمع الأوربي من ثلاث ط بقات، رجال الدين القائمون على الكنيسة وهي الطبقة المسيطرة، والأسياد وهي الطبقة الحاكمة التي أحياناً تخضع للكنيسة خوفاً من قرار الحرمان كونهم في أعلى السلم الاقطاعي ، والمزارعون الذين لا حول ولاقوه لهم ويحاولون البحث عن حياة أفضل ظنوا أنها في ظل الكنيسة ، ا ذ وصفهم ديورانت في كتابه قصة حضارة ( اذا جاء الشتاء دخل الفلاح وزوجته وابناءه وبهائمه وضيوفه الى الكوخ ليدفئ بعضهم بعض) .

وسيطرت الكنيسة على جميعها نواحي الحياة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ولذلك خرجت الحروب الصليبية بدعوة منها ولها الأثر الكبير في ضعف الإقطاع نتيجة هروب الكثير من العبيد للمشاركة في هذه الحروب ولم يكن السادة قادرين على منعهم لإنّ البابوية باركت فيها ومن يشارك فيها . عمل القضاء الإقطاعي وإجراءاته التعسفية على نُصرة السادة الإقطاعيين وظلم المزارع واضطهاده، إذ لم يحصل للمزارع أي تغييرات لتطوير حياته وإنما ظل عاكفاً لسنوات في خدمة السيد الإقطاعي ، لقد اسهمت التغيرات في مجال الصناعة والتجارة واحياء المدن وتطورها وظهور القوميات المتعددة بعد ان كان الإقطاع هو المسيطر على جميعها مرافق الحياة في تللك الحقبة في انحلال الإقطاع وبالتالي الى انهياره إبلّن الثورة الاقتصاديّة التي قامت في اوربا 0

**الهوامش**:-

**(1)** محمود سعيد عمران، حضارة أوربا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، 1991، ص242.

**(2)** موريس بيشوب، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: علي السيد علي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص61.

**(3)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص243.

**(4)** موريس بيشوب، المصدر السابق، ص64.

**(5)** سعيد السيد علي قرغلي، اضمحلال حكم الانجلو سكسون في انكلترا (979-1066)، القاهرة، دار المعرفة، 2004، ص496.

**(6)** الإقطاع:- إقطاع الشيء يكون تمليك وغير تمليك يقال استقطاع فلان قطيعة فأقطعه اياه اذ ساله ان يقطعها له ويبنيها ملكاً فأعطاه إياه والإقطاع للأرض جعل غلتها رزقاً . ينظر ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، 2003، ج7، ص711.

**(7)** نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في اوربا، دمشق، دار الفكر العربي، 1982، ج1، ص685.

**(8)** ج.و. كوبلاند، الإ قطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا، ط 3، ترجمة : محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص132.

**(9)** موريس بيشوب، المصدر السابق، ص61.

**(10)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص129.

**(11)** هربرت فيشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد زيادة، ط6، القاهرة، دار المعارف، 1993، ص165.

**(12)** سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط 6،القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1991، ج1، ص686.

**(13)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص245.

**(14)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص469.

**(15)** س . ورن هلستر، اوربا في العصور الوسطى، ترجمة : محمد فتحي الشاعر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1988، ص202.

(16) س . ورن هلستر، المصدر السابق، ص202.
(17) المصدر نفسه، ص203.
(18) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، ط 1، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، 1990، ص24.
(19) منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، بغداد، مطبعة المشرق، 1997، ص13.
(20) المصدر نفسه ، ص13.
(21) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص26.
(22) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص2.
(23) غريغوريوس السابع :- وهو الراهب الكلوني هيد ليراند سميَّ عند تعيينه بابا بـ (غريغوريوس السابع) وكان ذو خبرة طويلة وإداره ثابتة في الإصلاح الكنسي، ينظر : منصور المخلصي، المصدر السابق، ص139.
(24) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص3.
(25) المصدر نفسه، ص469.
(26) المصدر نفسه، ص470.
(27) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، المجلس الوطني، 1990، ص55-56.
(28) منصور المخلصي، المصدر السابق، ص146.
(29) جلال يحيى، اروبا العصور الحديثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص30.
(30) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص26.
(31) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص64.
(32) كوبلاند، المصدر السابق، ص56.
(33) موريس كيت، حضارة أوربا العصور الوسطى ، ط 1، ترجمة : قاسم عبده قاسم، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، 1994،ص52.
(34) سيدي بانتر، تاريخ الحروب الصليبية، ط 1، ترجمة : سعيد عبد المحسن، فلسطين، منشورات بيت المقدس، 2004، ج1، ص15.
(35) ول وايريل ديورانت، قصة حضارة، ترجمة : محمد بدران، بيروت، دار الجيل للطباعة والتوزيع، 2001، ج4، ص554.
(36) هـ . و. ديفر، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة : عبد الحميد حمدي، ط 1، القاهرة، مكتبة المعارف، 1985، ص101.
(37) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص92.
(38) ادوار بوري، تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى )، ط 2، بيروت، مطبع ة عويدات للطباعة والنشر، 1986، ص199.
(39) (الضيعة):- حرفة الرجل وصناعته ومعاشه وكسبه 0 يقال : ماضيعتك ؟ أي ماحرفتك 0 واذا انتشرت على الرجل أسبابه : فيشت ضيعته حتى لايدري بأيها يبدأ ومعنى فشت اي كثرت 0 كان ضيعة العرب سياسة الابل والغنم 0 ويدخل في الضيعة الحرفة والتجارة 0 يقال للرجل قم الى ضيعتك 0 قال الازهري الضيعة والضياع عند الحاضرة مال الرجل من النخل والكرم والارض والعرب لاتعرف الضيعة الا الحرفة والصناعة 0والضيعة : العقار 0 والضيعة : الارض المغلة ينظر : ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص545-546.

(40) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص74.
(41) المصدر نفسه ، ص94.
(42) كيت، المصدر السابق، 49.
(43) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص94.
(44) ول وايريل ديورانت، المصدر السابق، ص276.
(45) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص97.
(46) بروي، المصدر السابق، ص199.
(47) ول وايريل ديورانت، المصدر السابق، ص275.
(48) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص91.
(49) ديفز، المصدر السابق، ص88.
(50) جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ اوربا العصور الوسطى و حضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1984، ص108.
(51) كوبلاند، المصدر السابق، ص4.
(52) ج. ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة : جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1983، ص41-42.
(53) محمد محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، القاهرة، الشهابي للطباعة والنشر، 1998، ص9.
(54) بيشوب، المصدر السابق، ص121
(55) كوبلاند، المصدر السابق، ص6.
(56) السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوربية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1963، ص9.
(57) (الاقنان):- مفردها قن فالقن فلاح قراري يعيش على قطعة من الأرض يمنحها إياه سيده متملك الدومين وهو مربوط بهذه الأرض ولا يسمح له بتركها، ينظر : كوبلاند المصدر السابق، ص36.
(58) العريني، المصدر السابق، ص67.
(59) الشيخ، المصدر السابق، ص51.
(60) العريني، المصدر السابق، ص58.
(61) كوبلاند، المصدر السابق، ص7.
(62) هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ط3، القاهرة، دار المعارف، ص7.
(63) كوبلاند، المصدر السابق، ص9-10.
(64) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص71.
(65) كوبلاند، المصدر السابق، ص12.
(66) بيشوب، المصدر السابق، ص12.
(67) كوبلاند، المصدر السابق، ص62-63.
(68) كوبلاند، المصدر نفسه، ص15-16.
(69) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص382.
(70) كوبلاند، المصدر السابق، ص22-23.
(71) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص406.
(72) هلستر، المصدر السابق، ص143.
(73) الشيخ، المصدر السابق، ص44.

**(74)** العريني، المصدر السابق، ص51.
**(75)** (السلام الالهي ):- وهو الذي اتخذته المجاميع الدينية التي انعقدت لاول مرة في اكتسبانيا وبرجندا العام 989م لتنكر الفوضى والاضطراب التي ادت الى تخريب الكنائس، ينظر: بلوكر، المصدر السابق، ص10.
**(76)** الشيخ، المصدر السابق، ص44، العريني، المصدر السابق، ص51.
**(77)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص83.
**(78)** الشيخ، المصدر السابق، ص41-44.
**(79)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص66.
**(80)** (مطهم):- الحُسن التام والناعم والمنتفخ الوجه فهو بارع الجمال ينظر :- ابن منظور، المصدر السابق، ص154.
**(81)** الشيخ، المصدر السابق، ص43.
**(82)** (فارس الحمام ) :- لقب بهذا الاسم لأنه يوم الاحتفال بتثبيته كفارس يستحم رمزاً للتطهير الجسدي والروحي، ينظر محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص86.
**(83)** المصدر نفسه ، ص85.
**(84)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص406.
**(85)** الشيخ، المصدر السابق، ص40.
**(86)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص20.
**(87)** بانتر، المصدر السابق، ص19.
**(88)** (المكوس):- وهي ضريبة العشر المقررة على ماتخرجه الارض من الزرع والماشية وهي شائعة في كافة البلاد المسيحية، ينظر كوبلاند، المصدر السابق، ص49.
**(89)** بيرين، المصدر السابق، ص67.
**(90)** العريني، المصدر السابق، ص40.
**(91)** محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص20.
**(92)** كوبلاند، المصدر السابق، ص 74-57
**(93)** كولتون، المصدر السابق، ص92.
**(94)** كوبلاند، المصدرالسابق ، ص66-67 0
**(95)** المصدر نفسه، ص46.
**(96)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 59 0
**(97)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص87- 88 0
**(98)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 61 – 62 0
**(99)** ول وايريل ديورانت ، المصدر السابق ، ص 145 0
**(100)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص 102 0
**(101)** ول وايريل ديورانت ، المصدر السابق ، ص143 0
**(102)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص101 ، 102 0
**(103)** المصدر نفسه ، ص 102،101 0
**(104)** ول وايريل ديورانت ، المصدر السابق ، ص 146 0
**(105)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص105 0
**(106)** ديفز، المصدر السابق، ص104.
**(107)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 113 0
**(108)** المصدر نفسه ، ص114 0

**(109)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص108 0
**(110)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 113 0
**(111)** المصدر نفسه ، ص 87 ،90 0
**(112)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص 105 0
**(113)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر نفسه ، ص 104 0
**(114)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 94 0
**(115)** المصدرنفسه ، ص 97،96،94 0
**(116)** سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق ، ص104 0
**(117)** جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص 86 0
**(118)** ول وايريل ديورانت ، المصدر السابق ، ص 146 0

**المراجع العربية** :-


- جلال يحيى ، أوربا العصور الحديثة ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 01981
- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ العصور الاوسطى الاوربية وحضارتها ، القاهرة ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1984 0
- سعيد السيد علي فرغلي ، اضمحلال حكم الانجلو سكسون في انكلترا ( 979 – 1066 ) ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية ، 2004 0
- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، 1963، ج1،ج2.
- السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1963 0
- علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، ط 1، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.
- عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1991 0
- قاسم عبدة، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، المجلس الوطني، 1990.
- محمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور (ت 711هـ)، لسان العر ب، القاهرة، دار الحديث، 2003، ج5، ج7.
- محمد محمد مرسي، النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، القاهرة، الشهباني للطباعة والنشر، 1998.
- منصور المخلصي ، الكنيسة عبر التاريخ ، بغداد ، مطبعة الشرق ، 1997 0
- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دمش ق، دار الفكر العربي، 1982، ج1.

## قائمة المراجع الاجنبية المترجمة


- ادور بيروي ، تاريخ أوربا القرون الوسطى ، ط 2، بيروت ، مطبعة عويدات للطباغة والنشر ، 1986 0
- ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1967 0
- ج0ج : كولتون ، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، القاهرة ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1983 0
- سن ورن هلستر ، اوربا في العصور الوسطى ، محمد فتحي الشاعر ، مصر ، مكتبة الانجلو مصرية ، 1988 0
- سيدني بانتر ، أوربا الغربية عشية الحروب الصليبية ، ترجمة ، سعيد عبد المحسن ، رام الله ، منشورات بيت المقدس ، 2004 ، ج1 0
- موريس بيشوب ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة ، علي السيد علي ، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، 2005 0
- موريس كيت ، حضارة اوربا العصور الوسطى ، ط 1 ، ترجمة ، قاسم عبد ة قاسم ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، 1994 0
- هربرت فيشر ، اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ط 3 ، ترجمة ، زينب عصمت راشد ، مصر ، دار المعارف ، 2001 0
- هربرت فيشر ، تاريخ اوربا العصور الوسطى ، ط 6 ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العريني ، مصر ، دار المعارف ، 1950 0
- هـ 0و ، ديغز ، أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة ، عبد الحميد حمدي ، ط 1 ، مصر ، مكتبة المعارف ، 1958 0
- ول وايريل ديورانت ، قصة حضارة ، ترجمة ، محمد بدران ، بيروت ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 2001 ، ج42 0

# Feudalism in England in eleventh century

Baydaa G. Mohammad
College of education
University of Baghdad

## Abstract:

All aspects of life are controlled directly or indirectly by the church. The Crusades has the essential role in the weakness of feudalism because a lot of slaves escaped to participate in these wars and the Masters were unable to prevent them since the church blessed these Wars and the Participants. Tyrannous procedures of Feudal judiciary aim to support the feudal lords and tyrannize the farmer, as the farmer remained deeply engaged in Feudal lord's service without any change in his own life. The changes in the fields of industry, trade, renovation and development of the cities and the emergence of the Plurinational when the feudalism has a dominant role on all aspects of life in this period contributed in feudalism decay and subsequently its ruin during the economic revolution in Europe.